بالعقول التي اودعتها الحكمة الربانية في رؤوسهم ! ان في اوربا الآن لآية لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد

فكما كانت الرحلة سبباً في تقدم الشرق في ايام السلف الصالح فكذلك تكون ان شاء الله بفضل الجيل الحاضر ومن يتلوهُ من الذراري والاعقاب ستأتي البقية احمد زكي

الجنرال بوث

« ان الامور اذا انسدَّت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتجا
لا تيأسنَّ وان طالت مطالبةٌ اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
أخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجتهِ ومدمن القرع للابواب ان يلجا »

من كتاب الحماسة

اذا لم يصدق هذا القول على احد من الانام صدق على فقيد الهمة والاحسان الجنرال بوث الذي انشأ ما يسمّى « بجيش الخلاص » فانهُ توخى غايةً سعى اليها فسفَّه الناس رأيهُ وحسبوهُ من مثيري الفتن وموقعي الحمس وحجنوا اتباعهُ مراراً اما هو فواصل السعي وادمن القرع وصبر صبر الكرام الى ان شهد لهُ الخاص والعام انهُ من اكبر المصلحين

ولما توفي بالامس احتفلت الامة الانكليزية بدفنهِ احتفالاً عظيماً ولعلها لم تحتفل بدفن احد من علمائها وقوادها وامرائها ورؤساء الاديان فيها كما احتفلت بدفن هذا الرجل الذي عدتهُ في اول امرهِ متهوساً مختل الشعور يسعى الى غرض لا ينال وغاية لا ترجى او يتوخى نفع نفسهِ تحت ستار نفع غيرهِ

ولد سنة ١٨٢٩ ولما بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ قام فيهِ ميل شديد الى التدين والوعظ والارشاد حسب الطريقة الوسلية . وجاء مدينة لندن وعمرهُ عشرون سنة وفي عزمهِ ان يقف في الساحات العمومية يعظ الناس ويرشدهم . وهي خطة جرى عليها كثيرون من دعاة النصرانية من قديم الزمان ولكن اهل الطريقة الوسلية لم يستحسنوها فانفصل عنهم واتصل بطريقة اخرى وتزوج وانقطع للوعظ والارشاد هو وزوجتهُ . والغرض الذي يرمي اليهِ ردع الناس عن الشرور والمفاسد وتحبيب الفضيلة والتقوى اليهم فانضم اليهِ جماعة من الجناة الذين سمعوا وعظهُ فتابوا ووعدوا باصلاح سيرتهم وسريرتهم . ثم كثر عدد اتباعهِ

وهم من كل طبقات الناس فاطلق عليهم اسماً بعد آخر الى ان اخصهم اخيراً باسم جيش الخلاص Salvation Army وذلك سنة ١٨٧٨

ويقوم عمل هذا الجيش اولاً بالسير المنتظم في الطرق والشوارع وعقد الاجتماعات في الفضاء من غير اخلال بالنظام العمومي . وثانياً بزيارة القهوات والحانات والسجون والتكلم مع الذين فيها والصلاة معهم . وثالثاً بعقد الاجتماعات في اماكن اللهو والتمثيل وتحويل المعامل ونحوها الى اندية . ورابعاً باستعمال الانغام المألوفة في الترتيل والتسبيح . وخامساً بجعل كل من ينضم اليهم شاهداً على فضل الديانة سرّاً وعلناً

وقسم هذا الجيش الى فرق كما تقسم الجيوش الحربية واقام لهم القواد والضباط وجعل نفسهُ قائداً عامّاً ولهذا لُقّب جنرالاً . وزار الولايات المتحدة الاميركية واستراليا وممالك اوربا والهند وجاء القطر المصري وكثر اتباعهُ في اكثر البلدان التي زارها

والّف سنة ١٨٩٠ كتاباً سمّاهُ ما معناهُ « في ظلم احياء انكلترا واخروج منها » اشارة الى ما في بعض مدنها من الشقاء والبؤس حيث يقيم الماكين الذين تضرب الامثال بفقرهم وشقائهم وشرورهم . فكان لهذا الكتاب رنة في البلاد كلها وقد اشار فيهِ بعشر وسائل لمداواة ادواء الفاقة والشر التي في تلك الاماكن اهمها انشاء مستعمرات يسكنها الفقراء . ومساعدتهم على المهاجرة الى حيث تتسع لهم ابواب الرزق . وقيام اناس يزورون بيوت الماكين ويساعدونهم على اصلاح شؤونهم . وانشاء ملاجئ للنساء اللواتي أكرهنَ على البغاء او خُدعن حتى يعتنى بهنَّ فيها وتصلح امورهنَّ . والبحث عن الكبرين واغراؤهم بالاقلاع عن السكر . وزيارة السجون واصلاح شؤون المسجونين . وانشاء بنك للفقراء يودعونهُ ما يقتصدونهُ و يقترضون منهُ واقامة محامين يحامون من الفقراء لدى محاكم القضاء مجاناً

ولا يخفى ان هذه المطالب جليلة كلها حرية بان يعضدها الفضلاء في كل بلاد ولذلك قابلوا اكثرها بالاستحسان بعد البحث والانتقاد وعضدوها بالمال فبلغت الاموال التي تصدقوا بها في هذا السبيل مبلغاً كبيراً جدّاً وبلغت قيمة ممتلكات جيش الخلاص المعدة للاعمال الروحية في بريطانيا وحدها ١٣٥٧٧٠٦ جنيهات سنة ١٩٠٩ وكانت ٥٥٨٩٩٢ جنيهاً سنة ١٨٨١ وبعد ان كان الخاصة ينظرون الى الجنرال بوث كدرويش متحمس يطلب ما لا يُنال و يسعى الى ما لا يُرجى جعلوا ينظرون اليهِ كرجل اجتماعي مصلح اعتمادهُ الفعل بينما فلاسفةُ الاجتماع اعتمادهم القول . قدمي الى حضور الاحتفال بتتويج الملك ادورد السابع بامر وكانهُ من خاصة اقطاب المملكة ومن ثم عُدَّ اكرام الناس لهُ وقبلهُ حكام المدن

الانكليزية مقابلة رسمية لما طاف في البلاد سنة ١٩٠٥ . وقد شاهدنا اتباعهُ مراراً في مدن انكلترا ومصايفها يقفون في الساحات او على قارعة الطريق ويرتلون الاغاني الروحية حسب انغام مألوفة فيحركون الاشجان ويثيرون كهم في ترتيلهم كل من يمرُّ بهم حتى كأن تلك الساحات من اماكن العبادة

ولم يكد البرق ينشر نعيهُ حتى وردت تلغرافات التعازي على ابنهِ من كل الاقطار والبلدان من ذلك تلغراف من ملك الانكليز يقول فيهِ

بلغني نعي والدكم فساءني جداً فقد فقدت الامة مصلحاً كبيراً والساكين صديقاً شفيقاً مخلصاً كرَّس حياتهُ لمساعدتهم فعلاً لكن المستقبل كفيل باظهار مقدار فضلهِ على ابناء نوعهِ . والآن عمَّ الحزن عليهِ واوَّكد لك ولاهل بيتك اني شريك لكم فيهِ فاعزيكم عن هذه الخسارة الفادحة التي حلَّت بكم

وتلغراف من الملكة الكسندا والدة الملك تقول لهُ فيهِ

ارجو منك ومن عائلتك ان تقبلوا تعزيتي القلبية المخلصة عن الخسارة الفادحة التي خسرتموها انتم وخسرتها الامة كلها بوفاة والدك العظيم الفاضل الخالد الذكر الخسارة التي اصابت العالم المتمدن كلهُ ولكن نشكر الله لان والدك خالد لا يموت

وتلغراف من المستر تفت رئيس الولايات الاميركية المتحدة وفيهِ يقول

لقد خسر العالم بوفاة ابيك الفاضل محسناً من اعظم المحسنين فعلاً رجلاً كرَّس عمرهُ المطويل ومواهبهُ السامية للعمل الشريف الا وهو مساعدة الفقراء والضعفاء وتمهيد السبيل لهم لكي ينجحوا ويسعدوا

وارسل اليهِ حاكم مدينة لندن يقول ان مدينة لندن تندب فقد احد ابنائها الممتازين الجنرال بوث الذي يؤهلهُ عملهُ العظيم الفاضل للشكر الدائم

وارسل لورد روتشيلد يقول لقد اسفت جداً حينما بلغني نعي والدك العظيم الجليل فانهُ قد كرَّس حياتهُ كلها لمساعدة المساكين والمنقطعين وسيبقى اسمهُ خالداً مدى الدهر

هذا اما قيمة العمل الذي عملهُ بالنسبة الى الاموال التي أُنفقت عليهِ فمختلف فيها . وقد خلفهُ ابنهُ في رئاسة جيش الخلاص فاذا نجح العمل على يدهِ كما نجح على يد والدهِ واستمرَّ نجاحهُ بعدهُ ثبت انهُ من الاعمال الصالحة التي تقتضيها احوال الزمان والمكان والاَّ كان نصيبهُ نصيب كثير من الاساليب التي أُشيرت لاصلاح شؤون الناس ولم تعمر طويلاً لضعف فيها او لقلة الاستعداد لها